طوفان الأقصى... حسابات تتخطى حدود القطاع

وسام إسماعيل
كاتب ومحلل سياسي

يخطئ من يظن أن تداعيات طوفان الأقصى وما تلاها من اعتداءات إسرائيلية بحق المدنيين، تحت عنوان القضاء على المقاومة في غزة وتحرير الأسرى، بالإضافة إلى مشروع إفراغ القطاع من ساكنيه، ستبقى محصورة في إطار ما يتم الحديث عنه من هندسة سياسية ترسم إطاراً جديداً للسلطة في القطاع.

فإمكان حصر الحديث أو تقديم الرؤى التي تدلل على تباين وجهات النظر بين الأنظمة العربية المعنية بترتيب الأوضاع في القطاع، على نحو لا يسبب لها حرجاً في مواجهة ظروف كتلك التي تعيشها اليوم، وبين الكيان الإسرائيلي، الذي استشعر خطراً وجودياً، وبالتالي يصر على قراره رفض أي تسوية تعكس نتائج المعركة التي تدور رحاها في أرض غزة، يُظهر قصوراً في الرؤية لحقيقة ما ستتركه نتائج المعركة الحالية من تداعيات على واقع القطاع، ومن خلفه محور المقاومة، ثم على الكيان الإسرائيلي وجبهة التطبيع، ومن خلفهما الولايات المتحدة الاميركية.

فانطلاقاً من أن قيادة المقاومة في قطاع غزة استهدفت من خلال عملية طوفان الأقصى توجيه ضربة، عنوانها الأساسي الرد على الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على المسجد الأقصى ومحاولة تكريس قواعد اشتباك جديدة يُذعن الكيان الإسرائيلي من خلالها للقوة التي راكمتها المقاومة في القطاع، من دون أن نهمل سعي المقاومة الحثيث لإفراغ السجون الإسرائيلية من الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين، بحيث تخطى عددهم ثمانية آلاف معتقل، فإن الكيان الإسرائيلي، ومن خلفه الولايات المتحدة الأميركية وبعض القوى الإقليمية المطبعة، وجدت في طوفان الأقصى والرد الإسرائيلي الهستيري فرصة في محاولة تمرير مخطط يستهدف ترتيب واقع قطاع غزة، على نحو يخدم مخططات تتقاطع فيها مصالح الولايات المتحدة، في سعيها للمحافظة على مكتسباتها كقطب أوحد، مع مصالح دول جبهة التطبيع، مع الكيان لناحية إنهاء الحالة الفلسطينية المقاومة كمدخل لمشروع شرق أوسطي تتكامل من خلاله رؤى هذه الجهات، السياسية والأمنية والاقتصادية.

وبين هاتين السرديتين، كان من الطبيعي أن يجد محور المقاومة نفسه معنياً بأن يساهم في المحافظة على الإنجاز الذي حققته المقاومة في طوفانها لجهة عدم السماح بالاستفراد بالقطاع، ومحاولة الالتفاف على الإنجازات التي تحققت، ومنع إسقاط المقاومة، ومساعدتها على إفشال تحقيق الأهداف التي أعلنها نتنياهو، ومن خلفه الولايات المتحدة الأميركية، ومن جهة ثانية، العمل على ترجمة معركة طوفان الأقصى وما تلاها من حرب عالمية ضد المقاومة، انتصاراً استراتيجياً عنوانه إفشال مخططات الولايات المتحدة وجبهة التطبيع، لناحية محاولتهما تكريس واقع سياسي يُسقط القطاع في قبضة التطبيع، وذلك من خلال محاولة كيّ الوعي الفلسطيني لناحية تكريس حتمية إلغاء دور المقاومة في إدارة القطاع بعد انتهاء المعركة، مع إغفال أن يكون لنتائج الحرب الميدانية أي تأثير.

وبالعودة إلى المسار الزمني لمعركة طوفان الأقصى وما تلاها، كان واضحاً المسعى الأميركي والعربي لناحية استغلال حجم الهجوم الإسرائيلي في الضغط على قيادة المقاومة لتقديم التنازلات، ورفض القيادتين المصرية والأردنية كسرَ الحصار، والإصرار على إبقاء المعابر مغلقة، وعدم ممارسة أي ضغوط جدية على الكيان لتحييد المدنيين والبنى التحتية، من دون أن نغفل عما صدر عن القمة العربية الإسلامية لناحية الاكتفاء بدور الوسيط المسلّم بالسردية والخطاب الإسرائيليين.

وبالتالي، ونتيجة ذلك، لم يكن من الممكن تقديم أي قراءة متباينة عن تلك التي تتهم جبهة الدول المطبعة بالتواطؤ والمشاركة في المشروع الأميركي الإسرائيلي، انطلاقاً من قناعة مطلقة بفعالية الآلة العسكرية الإسرائيلية، وبنهائية القرار الإسرائيلي بشأن إنجاز مهمة القضاء على المقاومة في غزة، مهما كان حجم رد الفعل المقاوم. وفي هذا الإطار، ظهر الدعم الأميركي والغربي المطلق للكيان، بالإضافة إلى الحشود العسكرية في المتوسط، ورسائل التهديد لقوى المحور في لبنان والعراق واليمن والجمهورية الإسلامية في إيران، كعامل مساعد في تأكيد صحة خيارات تلك الجبهة.

غير أن الذي غاب عن الولايات المتحدة الأميركية والكيان الإسرائيلي وجبهة التطبيع أن يكون للمقاومة في غزة ومن خلفها جبهات المحور رد يعبر في جنباته عن الرفض المطلق لمخططاتها. فمن خلال المسار الذي اتبعته، سياسياً وعسكرياً، أكدت جبهة المقاومة أن محاولة إظهار المعركة في غزة على أنها تنحصر ضمن إطار الفعل المقاوم ورد الفعل الإسرائيلي لا تعبر عن رؤيتها للواقع. فالتحشيد الأميركي، وتخلي الدول العربية عن رؤيتها التاريخية لمركزية القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال، وعدم بذل أي جهد حقيقي في تحييد المدنيين ومنع ارتكاب الإسرائيلي إبادة جماعية بحق الشعب الفلسطيني في غزة، لا يمكن أن تُقرأ في إطار محدود كما يرغب الأميركي، وإنما تدلل على أهداف استراتيجية تتخطى قطاع غزة، لتفرض واقعاً جديداً على مستوى الشرق الأوسط ككل.

فالمشروع الأميركي لمرحلة ما بعد الأحادية القطبية يفترض ضرورة ترتيب نفوذه في المناطق التي يَعُدّها حيوية لبقائه في دائرة التفوق العالمي.

وإذا انطلقنا من مشروع الربط الاقتصادي، والذي أعلنه الرئيس الأميركي جون بايدن في قمة العشرين الأخيرة في نيودلهي، من حيث أهميته لمواجهة التمدد الصيني ومشروع الحزام والطريق، ستظهر أهمية القضاء على المقاومة في غزة، بحيث إنها تشكل تهديداً حيوياً لهذا المشروع الذي يرتكز على ميناء حيفا كحلقة وصل أساسية بين الشرق والغرب.

وبحيث إن جبهة التطبيع ستشكل إلى جانب الكيان الإسرائيلي أهم حلقات هذا المشروع، وبالنظر إلى انخراطها أمنياً في إطار الاستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط، سيظهر واضحاً سبب صمتها، إن لم نقل تواطؤها، عمّا يحدث في القطاع.

في هذا الإطار، لا يغيب عن عقل محور المقاومة أن الإنجازات التي حققتها قوى المقاومة، انطلاقاً من تأسيس العمل المقاوم وفق رؤية تنظيمية متماسكة، ووفق فعالية حوّلت المقاومة من مجرد مجموعة متناثرة لا تمتلك في جعبتها ما يمكن أن يشكل خطراً وجودياً على الكيان إلى جبهة متماسكة قادرة على أن تفرض معادلات إقليمية مؤثرة على رغم أنها في أكثرها كيانات غير دولتية، ستترك أثراً مقلقاً يتخطى في حدوده الكيان الإسرائيلي.

وبالتالي، يفترض المحور أن تداعيات التحرك لإفشال أهداف العدوان على قطاع غزة ستطال مشروع الولايات المتحدة الاستراتيجي في المنطقة.

وإذا استندنا إلى ظروف المعركة البرية أولاً، وظروف الهدنة الأخيرة ثانياً، لناحية نجاح المقاومة في فرض إيقاعها على شروطها ومسارات التبادل وإدخال المساعدات إلى القطاع، مع ما يعنيه الأمر من إذعان إسرائيلي وأميركي لظروف الميدان، فإن ذلك لا يعبّر إلا عن نجاح المقاومة في إفشال أهداف العدوان على غزة.

فالتسليم بعدم القدرة على تخطي حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، وعدم إمكان تحرير الأسرى إلا من خلال التفاوض معها، مع ما يعنيه الأمر من فشل على مستوى هندسة القطاع سياسياً، سيترك تأثيره في واقع المنطقة، بحيث تظهر المقاومة كمن استطاع أن يفرض رؤيته.

> التسليم بعدم القدرة على تخطي حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، وعدم إمكان تحرير الأسرى إلا من خلال التفاوض معها، مع ما يعنيه الأمر من فشل على مستوى هندسة القطاع سياسياً، سيترك تأثيره في واقع المنطقة

التحليل الإخباري

القسام من ساحة فلسطين: الأرض لي

علي نور الدين
كاتب ومحلل سياسي

انتشرت مقاطع فيديو تظهر حصول عملية تسليم القسّام للدفعة الرابعة من الأسرى، في ساحة مدينة غزة، في نفس الشارع الذي وصلت إليه الدبابات الإسرائيلية خلال الغزو قبل أن تنسحب (وصلت الدبابات الإسرائيلية ٣ مرات الى هذه الساحة ودائماً ما كانت تعود وتنسحب منها الى جهة الغرب نحو شارع الجلاء بفعل عمليات المقاومة). وجرت عملية التسليم في ظل حضور شعبي حاشد، الذي رفع صوته بشعارات التأييد والنصرة للمقاومة، وقام باحتضان مقاومي القسام الذين ظهروا باللباس والعتاد العسكري الكاملين، والذين جاؤوا الى الساحة وغادروا منها، عبر آليات عسكرية رباعية الدفع، بما يعني أنه رغم الدمار الكبير والهائل الذي طال المدينة، لا زالت الكتائب في كامل جهوزيتها وقدراتها، ولا تزال تملك زمام القيادة والسيطرة وإيجاد الأساليب لإظهار ذلك، بما يفوق استيعاب وخيال قادة وجنود جيش الاحتلال المقهور.

تكشّف حقائق الجيش المقهور

ويوماً بعد يوم، تتكشف حقائق جديدة عن مدى تردّي وضع الجيش الإسرائيلي، بقادته وجنوده، في القتال الميداني والبري، وهو الذي كان يُوصف في سبعينيات القرن الماضي، بأنه الجيش الذي لا يُقهر. فبعد كارثة الـ ٧ من أكتوبر، قد يعتقد البعض بأن عنصر المفاجأة والمباغتة أربك جنود وضباط جيش الاحتلال. وربما يظن البعض أن ما شهدناه خلال الأيام الماضية، من عمليات نوعية للمقاومة الفلسطينية من مسافات صفرية، هو أمر طبيعي بحكم طبيعة المعركة وتكتيكاتها (حرب مدن وحرب عصابات ثورية).

إلا أن ما جرى كشفه خلال الساعات الماضية، يؤكد بما لا يمكن الشك فيه، أن مقاومي القطاع من كافة الفصائل، سيحققون إنجازاً في العملية البرية قد يفوق الذي حصل خلال عملية طوفان الأقصى بأشواط، وذلك للأسباب التالية:

_ تزايد ورود أنباء الفرار من صفوف جيش الاحتلال: قبل أيام تحدثت وسائل إعلام إسرائيلية عن فرار أكثر من ٢٠٠٠ عنصر احتياط من الخدمة. فيما كشفت صحيفة يديعوت أحرنوت مؤخراً عن إقالة قائد سرية إسرائيلية ونائبه، بعد فرار سريتهما أثناء القتال في قطاع غزة.

_ أكدت يديعوت أحرنوت أيضاً بأن الجيش الإسرائيلي لا يزال يواجه تحديات صعبة، فهناك مراكز قوة مهمة للقسّام داخل غزة لم يسيطر عليها بعد، مثل حي الشجاعية الذي اشتهر بالقتال العنيف خلال عملية "الجرف الصامد" عام ٢٠١٤، أو مخيم جباليا أحد أهم معاقل الكتائب، وحي الدرج والذي يعتبر من المعاقل المهمة لحماس شرق مدينة غزة.

_ تأكيد العديد من خبراء ومحللي الكيان العسكريين والسياسيين، بأن زمام المبادرة في ملف المفاوضات هو بيد قيادة حماس، وليس بيد مسؤولي الكيان.

_ رضوخ الكيان وقبول مسؤوليه السياسيين للهدنة، بسبب صفقة تبادل الأسرى التي عُرضت عليهم منذ الأيام الأولى للمعركة، والتي كانوا يرفضون الحديث حولها من أساسه.

_ مسارعة قادة الاحتلال الى القبول بخيار تمديد الهدنة، ورمي كرة تجديدها في ملعب المقاومة، لمعرفتهم بأنها هي صاحبة أوراق القوة في هذا الموضوع.

أسرانا وأسراهم: وضوح المشهد يختصر السرديّة الأخلاقية

ليلى عماشا
موقع العهد الاخباري

كما للمعارك في البال صور لا تُمحى، كذلك للهدنة. وإن كانت مشاهد عودة الأسرى المحرّرين إلى حضن بيوتهم وعائلاتهم تملأ القلب عزًّا، فإن آثار ما جرى عليهم خلال سنين الأسر تدميه.. سواء كانت هذه الآثار جسدية أو نفسية، هي تدلّ على وحشية العدو وعدم احترامه المعروف لأي حقّ إنساني، ولأي منظومة أخلاقية.

في المقابل، صور ومشاهد الأسرى الصهاينة لدى المقاومة، تستوقف المُشاهد طويلًا. وهنا لا نستغرب مثلًا الصحّة الجسدية والنفسية الظاهرة على أسرى صهاينة كانوا لدى المقاومة الفلسطينية منذ السابع من أوكتوبر، فمن البديهيّ أن لا يُرى مثلًا أي أثر للتعذيب: المقاومة لا تعذّب أسراها ولا تتعرّض لهم بأي اعتداء رغم ما ارتكب كيانهم من مجازر تتجاوز المعقول بكلّ المعايير. لكنّ أن يكونوا على قدر من الراحة والأمان بحيث كانوا يودّعون بنظراتهم الجهة التي أسرتهم، وكأنّهم كانوا ضيوفًا حقيقيين، فهذا كان لافتًا.

في الواقع، المقاومة ليست بحاجة إلى إثبات أخلاقياتها العالية في المعارك أمام أحد، وليست ملزمة بتقديم أدلّة على التزامها العالي بالمعايير الإسلامية الصارمة بخصوص معاملة الأسرى، لكنّ مشهد تسليم الأسرى الصهاينة بكلّ ما حوى من انطباعات حول وضعهم، دمّر حرفيًّا كلّ مساعي الغرب إلى تصوير المقاومة وأهلها كجماعات إرهابية تمارس العنف بشكل عبثيّ.

تعرّضت غزّة خلال ثمانية وأربعين يومًا إلى إبادة جماعية، إلى إرهاب تواصل على مرّ الساعات ولم يستثنِ أحدًا. وكانت تمتلك خيار الانتقام من الأسرى الموجودين لديها على الأقل كمحاولة لردع العدو عن ارتكاب المجازر، وكانت تمتلك كذلك خيار استخدامهم كدروع بشرية سواء في المعارك البريّة أو حتى في صدّ اقتحام مستشفى الشفاء، ولا شكّ أنّها كانت تستطيع تنفيذ إعدام البعض منهم على الهواء مباشرة وابتزاز العالم كلّه بهم.. لكنّها لم تفعل. لم يأخذها الغضب لحظة واحدة إلى أيّ خيار غير محسوب. ولعل الصهاينة تمنّوا في لحظة أن تذهب المقاومة إلى التنكيل بالأسرى لديها، كي يتمكّنوا من إثبات ادعاءاتهم حولها، هذه الادعاءات التي جعلتهم يلجأون إلى الكذب الغبيّ وصناعة الاتهامات التي سرعان ما تنكشف حقيقتها: من التسويق لشريط مصوّر، بطلته ناشطة "إسرائيلية" تدّعي أنّها ممرّضة في مستشفى الشفاء وأن المقاومة سلبت من المستشفى الماء والدواء، وتحوّلت إلى أضحوكة بسبب ركاكة السيناريو والثغرات العديدة التي تكشف زيفه، إلى عرض صور لجثامين أطفال فلسطينيين والقول بأنهم "إسرائيليون" ذبحتهم المقاومة وهي الرواية التي اعتمدها الكثيرون في الغرب رغم انكشافها عاجلًا واتضاح حقيقتها، وصولًا إلى فيديو العثور على أسلحة في "الشفاء" والذي اتضّح أنّها من صناديق نقلها الجنود الصهاينة إلى المشفى ثمّ عمدوا إلى تصويرها، وكذلك الثغرات الهائلة في فيديو نفق مستشفى الرنتيسي والتي تضمّنت على سبيل المثال العثور على رزنامة دوام الموظفين!

مقابل كلّ هذا الزيف والذي بقي معتمدًا لدى الكثير من المحلّلين حول العالم وحتى في لبنان، كان مشهد تلويح "الأسرى الصهاينة" لرجال المقاومة وهم يسلمونهم إلى الصليب الأحمر الدولي كفيلًا بكشف سيل الأكاذيب وفضح المتمسكين بها.

بين مشهد أسرانا العائدين محرّرين بالدم وبالقتال، والظاهرة على وجوههم حكايات سنين من التعذيب والتنكيل والحرمان من أبسط الحقوق الإنسانية، ومشهد أسراهم المغادرين وكأنّهم كانوا ضيوفًا، ما أخافهم سوى طائرات كيانهم وهي تقصف دون اعتبار ليس فقط للأطفال بل دون اعتبار أيضًا لاحتمالية وجودهم في أماكن القصف، مساحة تنمو فيها أخلاق أهل الحق، وحكمة أهل الحقّ، وسموّ أهل الحق. مساحة لا يمكن للصهيوني فهمها، ولا يمكن لأدواته إجادة تقديرها.

> تعرّضت غزّة خلال ثمانية وأربعين يومًا إلى إبادة جماعية، إلى إرهاب تواصل على مرّ الساعات ولم يستثنِ أحدًا